مقدمة

إذا كان لكل عصر من العصور سماته وقضاياه، فإن الكثير من قضايا العصر الحديث مرتبط بالمرأة، فالحديث لا يتوقف ولا يهدأ عن تحرر النساء وحقوقهن السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعن إزالة كافة أشكال التمييز عنهن، وكثر الحديث عن المرأة فى التاريخ وعند الفلاسفة والمفكرين، وهذا ما يحملنا على تقديم هذه الدراسة عن (الفلسفة النسوية فى فكر الإمام محمد عبده).

لقد ظهرت فلسفة حديثة أطلق عليها الفلسفة النسوية أو الأنثوية، أخذت على عاتقها أن ترى الوجود كله بعيون الأنثى، حتى العلوم الطبيعية أخذت نصيبها من الفلسفة، كذلك القرآن الكريم وجدنا من تتبجح وتخضعه لتلك الفلسفة النسوية كما فعلت (آمنة ودود) مثلا فى كتابها المعنون بـ «القرآن والمرأة.. إعادة قراءة النص القرآنى من منظور نسائى».

فإذا نظرنا إلى الحضارات القديمة نجد أن ألوانا بشعة من الظلم والانتهاكات وقعت بحق النساء، دون أن يحركن ساكنا لرفع هذا الظلم والجبروت الواقع عليهن حتى ظهر الإسلام على يد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ليبدأ عهد جديد للنساء، وذلك يتضح فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ

وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1].

ونجد النساء وقد انتبهن عندما يصعد النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المنبر ويقول: (يا أيها الناس..)، فهن من الناس، أى إن جميع الخطاب القرآنى والنبوى يخصهن عدا ما جاءت القرينة لتشير أنه خاص بالرجال فحسب، فيستشعر النساء مالهن من قيمة، وبينما كان ذلك الرقى صبغة للحضارة الإسلامية، كانت أوضاع النساء فى باقى الحضارات كما هى فى دياجير الظلام، وظلت الأوضاع هكذا، حتى تذبذبت مكانة المرأة فى المجتمع الإسلامى نفسه وفقا لموجات من الصعود والهبوط الحضارى التى مر بها. ويمكن القول إن ظهور الإسلام كان بشارة سارة للنساء فى ذلك الزمان، وإن الدعوة العامة للقرآن مبنية على حرمة الظلم، والقوانين العملية الإسلامية الخاصة قد بنيت بحيث تحمى الشخصية الخاصة للمرأة فى الحياة الاجتماعية والأسرية، وأعلن الإسلام حياة جديدة للمرأة فى بُعدها الاجتماعى، ومما يؤسف له أنه على الرغم من ظهور هذا الدين الذى فيه النجاة الدائمة الأبدية، فإن وقوع حدثين أساسيين على مر التاريخ غيرا مسيرة حياة المرأة، الحدث الأول: هو ظهور حالة التحجر واختلاط الأذواق الباطلة بالحقائق الدينية، والحدث الثانى: تجدد وظهور العلمانية التى اعتبرت نفسها المدافع عن حقوق المرأة.

إن تيار التحجر القديم عطل الهوية الاجتماعية فى حياة المرأة، والتيارات النسائية الغربية تجاهلت الدور الاستثنائى الخاص للمرأة على صعيد الحياة العائلية.

(١) سورة الأحزاب – ٥٣.

فمع بداية العصر الحديث – الغربى بالطبع – ومع قيام الثورة الصناعية والحاجة للمزيد من الأيدى العاملة، ومع حروب عالمية استهلكت البشر كما استهلكت البيئة، كان التدشين لعصر جديد للنساء يدخلن فيه آلة العمل بقوانينها الجبارة، وكان لابد من قيام أفكار وفلسفات جديدة لخدمة هذا التوجه، فكانت حرية المرأة، وحرية الجسد، والبحث عن دور جديد للنساء...إلخ.

ومع دخول النصف الثانى من القرن العشرين، دخلت قضايا المرأة فى طور جديد هو طور الفلسفة النسوية المتطرفة، فلم يعد البحث عن حقوق المرأة المهدرة وعن صيغة أكثر عدالة فى علاقتها بالرجل، ولكن أصبح العالم كله يتم النظر إليه من منظور أنثوى ضيق، كبديل للمنظور الإنسانى الرحب، وأصبح الحديث: أنه آن الأوان أن تحل الأفكار النسوية محل الأفكار الذكورية والأبوية التقليدية النمطية، لأن الأنثى هى الأصل، وغير ذلك من ترهات النسوة اللاتى يخضن حربا أو بالأحرى يفتعلن حربا مع الرجال دون أى اعتبارات للقيم الخلقية الرفيعة، التى يرين أنها قيود وضعها الرجال من أجل تكبيل الإناث.

ومن أهم المفكرين المصريين الذين أولوا قضية المرأة عناية فائقة والمنظرين لأسس الفلسفة النسوية بمفهوم ورؤية خاصة تستحق الدراسة والتحليل هو الإمام محمد عبده.

ويهدف البحث إلى الكشف عن الأسس الفلسفية للفكر النسوى الغربى، والتعرف على أبرز الحركات والموجات التى تمثل المذاهب النسوية، والتعرف على أبرز الشخصيات التى ساهمت فيه.

والإجابة عن بعض الأسئلة وهى: كيف ظهرت هذه الحركة النسوية؟ وما هى أهدافها وغاياتها؟ وما هى الاختلافات بين الجنسين الذكرى والأنثوى على المستويات: الجسمى، الذهنى، الاجتماعى، الاقتصادى؟ وكيف ساهم تطور تاريخ الإنسانية فى بناء هذه الثقافة بينهما؟ وما هى مراحل الفلسفة النسوية وتطورها؟

وأخيرا كيف ينظر الدين الإسلامى إلى وضع المرأة الحالية؟ وما هى رؤية الإمام محمد عبده لأفكار الفلسفة النسوية من مكانة المرأة؟ والمساواة؟ والحرية؟ وحقوق المرأة؟ وأيضا موقفه من قضية الطلاق وتعدد الزوجات؟

وفى سبيل توضيح هذه الرؤية ارتأيت إقامة مقارنة بين الفكر النسوى والرؤية الغربية حول المرأة والفكر الدينى ورؤية الإمام محمد عبده حول المرأة، وقد استخدمت فى البحث المنهج التحليلى والمنهج المقارن والمنهج التاريخى والمنهج النقدى.

ويحتوى البحث على مقدمة وسبع فصول وخاتمة:

الفصل الأول: وعنوانه (مراحل الفلسفة النسوية وتطورها):

تضمنت الدراسة فيه مبحثين، الأول: مراحل الفلسفة النسوية وتتناول تاريخ ظهور مصطلح النسوية (Feminism)، وأهم المنظرين للفلسفة النسوية، ومراحل رؤية المرأة فى تاريخ الفلسفة من الفلسفة اليونانية ويمثلها أفلاطون وأرسطو، وعلى الجانب الآخر المفكرين فى الفكر الحديث الذين حظوا بمكانة مرموقة بين المدافعين عن حقوق المرأة مثل (جون ستيوارت مل)، وموجات وحركات الفلسفة النسوية والأسس والأهداف

والغايـات التى تقوم عليها كل موجة،والمبحث الثانى: وعنوانه الفلسـفة النسوية فى فكر ما بعد الحداثة ويتضمن دراسة المرحلة الثالثة فى الفلسفة النسوية المهيمنة على فكر هذا العصر، وأهم أهدافها ورؤيتها وهى ما تسمى بحركة التمركز حول الأنثى، وأبرز المفكرين والفلاسفة فى هذه الموجة أمثال ميشيل فوكو وجاك دريدا و دولوز ونيتشه الذى يمثل وجهة النظر المعادية للمرأة، ويعد نيتشـه أهم المنظرين لهذه الموجة التى شكلت لحظة انعطاف وتحول فى رؤية المرأة، وينظر لنيتشه على اعتباره من أبرز أعداء المرأة.

الفصل الثانى: وعنوانه (مكانة المرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

ويتضمن مكانة المرأة الخاصة فى الدين الإسلامى، وكيف شهد وضع المـرأة نقلة كبرى فى العصر الإسـلامى، وأول مـن دافعوا عن المرأة فى العصر الحديث العربى مثل رفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الأفغانى، وعبـد الله النديم، وقاسـم أمين، وأيضا مثال للسـيدات المدافعات عن المرأة عائشة تيمور والأميرة نازلى فاضل، ثم مدى أهمية قضية المرأة عند الإمام محمد عبده، ونماذج النساء المؤثرات فى حياة الإمام محمد عبده، والسـبب فى الحالة التى تعيشها المرأة فى عصره وكيف فقدت مكانتها وسلبت حقوقها؟.

الفصـل الثالـث: وعنوانـه (منهج الإمـام محمد عبـده الإصلاحى لقضايا المرأة ودوافعه):

وتضمن أسـباب ودوافع إصلاح الإمام محمد عبـده لقضايا المرأة من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية، ظهور منهجين للإصلاح لقضايا

المـرأة، منهج التقليديـين والمنهج التغريبى وأهـم المنظرين لكل منهج، وموقف الإمام محمد عبده ونقده لكل من المنهجين، ومنهجه الإصلاحى.

الفصل الرابع: وعنوانه (المساواة بين الرجل والمرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

ويتضمن المحاور التالية: إن الأصل فى أحكام الإسـلام هو المسـاواة بين الرجل والمرأة، المسـاواة فى القرآن الكريم، رأى الإمام محمد عبده فى المسـاواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات من خلال تفسيره للقرآن الكريم، فكرة القوامة فى القرآن الكريم، وتفسير الإمام محمد عبده لها، وتوضيحه للبس والفهم الخاطئ لفكرة القوامة، المسـئولية المشتركة بـين الرجل والمرأة فى التفكك والتفسـخ الأسـرى، وعقد مقارنات بين المفكرين فى موضوع المسـاواة بين الرجل والمرأة مثل رفاعة الطهطاوى، والشيخ محمد رشيد رضا، وقاسم أمين، وجمال الدين الأفغانى.

الفصل الخامس: وعنوانه (حرية المرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

تضمن كيف أن الحرية لم يخص بها الذكور فقط بل والإناث أيضا، وأهميـة الحدود والضوابط للحرية عند الإمام، وينقسـم الفصل إلى ثلاثة مباحث:

١ – حرية الرأى والحرية السياسية.

٢ – حرية المرأة فى اختيار الزوج، وأهمية حاجة المرء إلى الزواج، ومقارنة بين رأى الإمام محمد عبده ورأى قاسم أمين فى حرية المرأة.

٣ – نماذج من الريادات النسائية اللاتى حررهن الإسلام منذ عصر النبوة.

الفصل السادس: وعنوانه (حقوق المرأة فى فكر الإمام محمد عبده):

وتضمن مباحث هى:

١ – قضية تقييد الطلاق وحقوق المرأة.

٢ – قضية تعدد الزوجات.

٣ – حق المرأة فى التعليم والعمل.

٤ – الحقوق المالية للمرأة.

الفصل السابع: وعنوانه (مقارنة بين الفكر النسوى الغربى والفكر النسوى للإمام محمد عبده):

ويتضمن مقارنة بين حركة تحرير المرأة وإنصافها وبين النزعة الأنثوية المتطرفة (feminism) فى الأهداف والغايات، ومقارنة بينهما وبين الفلسفة النسوية فى فكر (ما بعد الحداثة) من جهة أخرى، وأيضا مقارنة بين الفلسفة النسوية بموجاتها وبين الفلسفة النسوية فى فكر الإمام محمد عبده فى الأسس والأهداف والغايات، ونقد للفلسفة النسوية الغربية.

الخاتمة(النتائج):

اشتملت على تلخيص لأهم نتائج البحث.

د. سلوى محمد نصره

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الفلسفية

كلية البنات - جامعة عين شمس